نقل اللغة وتحمُلها عند نحاة العربية وأئمتها

مبارك حسين نجم الدين بشير
جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا ـ كلية اللغات

المستخلص:

تناول الباحث في هذه الدراسة نقل اللغة العربية الفصحي وتحمُّلها عند النحاة واللغويين مبيناً منهجيتهم في النقل والتحمُّل والمبادئ التي بنوا عليها في تأسيس هذه المنهجية.وقد أوضح دواعي نقل اللغة الفصحى من أفواه من يوثق بعربيتهم كما أوضح كيفية تقسيمها وفق معايير الاطراد، والشذوذ، والاستعمال. وقد كان من أهداف هذه الدراسة مايأتي:

١. بيان منهجية نقل اللغة العربية الفصحى من أفواه من يوثق بعربيتهم.
٢. توضيح أن استقراء النحاة لغة العرب كان اعتماداً على معيار الفصاحة وعدم الاختلاط بالأعاجم.
٣. توضيح موثوقية نقل اللغة العربية الفصحى زماناً ومكاناً وناقلين ومنقول عنهم.

ABSTRACT:

The researcher in this study discussed the transcription, and the endurance of Arabic language in the Arabian grammarians, and linguists view.

He cleared their methodology in a transcription, and an endurance of Arabic. He clarified their principles on which they founded their methodology so he indicated the requirements of this transcription and endurance.

Furthermore he demonstrated the division of the language that was transcripted from those who were trusted in their Arabic language so that division has been made according to the criterion of uniformity, exception, and usage.

This study aims to:

1. Show the methodology of Arabic language transcription and endurance.
2. Illustrate the grammarian’s induction of Arabic had been depended on the criterion of eloquence, and isolation.
3. Indicate the accurancy of Arabic language transcription, and endurance in place, time, and authors.

الكلمات المفتاحية :الاستقراء النحوي ،الرواية ،الموثوقية ،التواتر، الشذوذ.

المقدمة

تناولت هذه الدراسة منهج نقل اللغة وتحملها عند النحاة وأئمة اللغة، مبينة منهجية الأخذ والتلقي، وطرق النقل والتحمل، وشروط الرواية والراوي، والمنقول عنه. كما بينت أثر منهج أهل الحديث في منهج نقل اللغة عند النحاة، وقد أوضحت أن تلك المنهجية وتلك الشروط قد تأسست على خصائص لغة القرآن التي استقرأها أبو الأسود الدؤلي وتلامذته.

وقد اتبع الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي التاريخي التحليلي، كما أن مباحث هذه الدراسة قد جاءت إجابة على الأسئلة التالية :

١- ماالمقصود بالنقل والتحمُّل ودواعيهما؟

٢- ما هي المنطلقات التأسيسية لمنهجية نقل اللغة وتحملها؟

٣- ما العلوم التي أثَّرت في منهجية نقل اللغة وتحملها؟

٤- هل اتبع نحاة العربية وأئمتها طرقاً معينة في نقل اللغة وتحملها؟

٥- على أية معايير وأية خصائص قسم النحاة المادة اللغوية المنقولة إلى مطرد وشاذ ومستعمل؟

٦- كيف تحقق النحاة وأئمة اللغة من صدق نتائج استقراء العينة الموسعة مجسدة في لغة من يعتد بعربيتهم من العرب العرباء والفصحاء؟

هذه الدراسة في نتائجها التي توصل الباحث إليها في خاتمتها أبانت أن لغة العرب العرباء الفصحاء التي نقلت، واستقرئت، وفحصت، في ضوء خصائص لغة القرآن الكريم للوصول إلى تعميم قواعد النحو والصرف وطردها في كل كلام ومثال، كانت هي العربية الفصحى التي استشهد بها على لغة القرآن الكريم، وقد كان نقلها وفق منهجية صارمة كانت على أسس ومعايير موضوعية، وثقت طرق النقل والتحمل وشهدت لعلوم اللغة والنحو، بالموثوقية والعلمية، تعالياً على دواعي الهوى والمصالح الذاتية.

مدخل:

كان لظهور الإسلام ثم انتشاره في عهد الفتوحات ودخول الناس فيه أفواجا، وما حدث بسببه من تمدن وتطور، أثر بالغ في شيوع اللغة العربية وانتشارها خارج شبه الجزيرة العربية. وقد صارت جزيرة العرب مقصد الأعاجم؛ لأن مدينة الرسول (صلى الله عليه وسلم) بها مسجده وقبره الشريف، حاضرة الإسلام في عهد الخلافة الراشدة، ولأن مكة المكرمة هي قبلة المسلمين كلهم حجاً وعمرةً.

وكان نتيجة تلك الفتوحات هجرة بعض القبائل العربية إلى العراق وفارس وبلاد ما وراء النهر وإلى الشام ومصر وإفريقيا فنتج عن ذلك اختلاط العرب بالعجم سكناً ومصاهرةً ومعاملةً في البيوت والأسواق والمساجد والمناسك، فانجرّ عن ذلك خلل وفساد في لسان العرب الذين كانوا يتكلمون العربية سليقة، وقد عرف هذا الخلل والفساد باللحن. لخص بعض الباحثين مظاهر هذا اللحن في المواضع الآتية [(١)]

١-تسكين أواخر الكلمات وترك الإعراب خوفا من اللحن.

٢- الانحراف في نطق بعض الأصوات.

٣-الخطأ في ضبط أواخر المفردات في سياق الجمل وهو ما عرف بالإعراب.

٤- الخطأ في أبنية الكلمات.

ولحل هذا الإشكال وتصويب الخطأ ضبطاً للقرآن الكريم وحفاظاً عليه، وتعليماً للأعاجم العربية لغة القرآن الكريم، ولغة الحديث الشريف، وتربية ناشئة المسلمين تربيةً لغويةً صحيحةً، نشأ الدرس اللغوي عموما،

(١) سعيد شنوقة -٢٠٠٨ - في أصول النحو العربي ، المكتبة الأزهرية للتراث،القاهرة ، ص٩.

والنحوي خصوصا في كنف القرآن الكريم وانطلقت دروسه الأولى من القرآن على يدي أبي الأسود الدؤلي تلميذ الإمام علي (رضي الله عنه) إذ تنقل لنا كتب التراجم أن نقط الإعراب (الحركات) لضبط نطق ألفاظ القرآن الكريم وتراكيبه قد وضعه أبو الأسود الدؤلي(٢). وكان هذا الصنيع من أبي الأسود الدؤلي، إضافة لوضعه بعض أبواب الصرف مثل (أقسام الكلام) هو المنطلق الأول لعلم النحو والصرف والرسم الذي كان يعرف بعلم العربية(٣).

إذن أصبح الدرس اللغوي، وبخاصة علم العربية، مشكلة حقيقية تستلزم التقنين والتقعيد إذ حصل ارتباط بين اللغة العربية والقرآن الكريم فأصبحت العربية من لوازم الإسلام. فكان الهم الأول للمهتمين بها سلامة القرآن الكريم في بنيانه اللغوي نحواً وصرفاً وصوتاً ودلالةً، ولتحقيق هذه السلامة كان الصواب المنهجي في الاستقراء النحوي أن ينطلق من النص القرآني لا من لغات العرب أو لغة قبيلة بعينها، ولهذا لم يكن أبو الأسود الدؤلي وتلامذته-كيحي بن بعمر ونصر بن عاصم- رواة دارسين ولم يذهبوا إلى البادية وإنما عكفوا على استقراء لغة القرآن الكريم. ومن المعروف في الاستقراء قبل تحديد حجم العينة، تحليل نواةٍ من العينة تحليلا أولياً يتم على أثره الإعداد لدراسة العينة الموسعة الممثلة للظاهرة، ويمكن تسمية هذه النواة بالعينة الأولية ولا شك أنها في الدراسات اللغوية، مثلتها لغة القرآن الكريم، ولهذا كان أوائل أئمة النحو وعلى رأسهم أبو الأسود الدؤلي من قراء القرآن الكريم. ومن أهم النتائج التي توصلوا إليها من دراستهم لغة القرآن الكريم ما يأتي(٤):

١- القرآن الكريم نص عربي في لغته، فكلماته عربية وضعاً واستعمالاً، ولغته ليست هجيناً مولدةً من لغتين فأكثر، لبعدها عن التأثر بلغات الجوار الجغرافي.

٢- القرآن الكريم معرب إعراباً مطرداً، فيه يطرد رفع الفاعل ونصب المفعول وجر المضاف إليه وغيرها من ظواهر العربية في الإعراب.

٣- ثمة ظواهر تركيبية غير مطردة في القرآن الكريم مثل لغة (أكلوني البراغيث).

٤- القرآن ثابت بالنقل الصحيح عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- تلقاه وحياً عن طريق جبريل عليه السلام.

وقد عدت هذه النتائج لدراسة لغة القرآن الكريم أسساً منهجيةً تهدّي بها جامعو العربية في تحليل مادة ضخمة(٥) من اللغة قوامها الشعر والأمثال والخطب والحكم والأقوال السائرة وبناء على هذه المنطلقات التأسيسية والموجهات المنهجية جرت طرق اللغويين رواة ودارسين وأعرابا في نقل اللغة وتحملها مما ستفي بإيضاحه هذه الدراسة ــ إن شاء الله ــ في مباحثها الآتية :

النقل والتحمُل وارتباطه بالرواية:

النقل في اللغة مصدر الفعل (نَقَلَ) وهو تحويل الشيء من مكان إلى مكان(٦). ومنه المناقلة وهي: مراجعة الحديث أو الإنشاد. وفي الاصطلاح (النقل) هو السماع وهو أحد أدلة النحو، وهو منهج تدوين اللغة المسموعة التي هي عند الأئمة أصول اللغة العربية ويقصدون به ما نقله علماء اللغة العربية من النصوص اللغوية التي تمثل المصدر الأساسي للغة العربية ولا يكون نقلا إلا إذا كان موثوقاً، ويدخل في المادة

---

(٢) أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي- 1405للهجرة – ١٩٨٥م - أخبار النحويين البصريين ، تحقيق محمد إبراهيم البنا ، ط١، دار الاعتصام ، القاهرة ، ، ص٣٥.
(٣) حسن خميس الملخ-٢٠٠٢م- التفكير العلمي في النحو العربي، دار الشروق للنشر والتوزيع ، ط١، عمان – الأردن، ص٦٩-٧٠.
(٤) المرجع نفسه- ص ٧٠.
(٥) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا -١٤١٤للهجرة - معجم المقاييس في اللغة ، تحقيق: شهاب الدين أبو عمرو، ط١، دار الفكر ، بيروت لبنان - ص١٠٤٢ مادة (نقل).
(٦) سعيد شنوقة ، في أصول النحو العربي ، مرجع سابق ، ص٤٤-٤٥.

المسموعة أو المنقولة: القرآن الكريم والحديث الشريف والقراءات، والنثر والشعر. ومعظم ما ركز عليه النقل أو السماع هو كلام العرب شعراً ونثراً وفق حدود زمانية ومكانية(٧) لأن القرآن الكريم وقراءاته والحديث الشريف قد فرغ من موثوقية بعضها.

أما التحمُّل، فهو مصدر للثلاثي المزيد بالتضعيف والتاء على وزن (تفعّل) ويدل لغة على الإقلال(٨)، واصطلاحا هو: الأخذ عن الشيخ أو الأعرابي أو الصحابي مشافهةً أو سماعاً أو قراءةً عليه أو إجازةً، وهو في عمومه يعني التلقي والأخذ مع الضبط والحفظ(٩).

وقد ارتبط نقل العلوم خاصة الحديث الشريف، وقراءات القرآن الكريم، وشعر العرب ونثرهم، وأخبارهم وأيامهم، وسيرة النبي (صلى الله عليه وسلم)، والتاريخ: بالرواية والضبط، والحفظ والأمانة في الأداء.

وقد كانت رواية الشعر والأخبار والأيام معروفة عند العرب في الجاهلية، ومع معرفة بعض العرب الكتابة في الجاهلية فقد قصروها على الضرورات الاجتماعية والاقتصادية كالصكوك، والعهود والأحلاف، والمواثيق والرسائل المقتضبة، والكتب الدينية، وما عدا ذلك فكان مجال حفظه الذاكرة والرواية (١٠).

وبعد مجئ الإسلام انشغلت ذواكر العرب بحفظ القرآن الكريم والحديث الشريف، وروايته، ورواية قراءات القرآن الكريم، ومغازي النبي (صلى الله عليه وسلم) وقد كان لجمع القرآن الكريم بين دفتي المصحف في عهد الخليفة الراشد الصديق (رضي الله عنه) بسبب استشهاد كثير من الحفظة والقراء في حروب الردة(١١) أثر كبير في حفظ الرواية وإتقانها والتدقيق في رجالها، ثم وُحّد المصحف في مصحف إمام واحد في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان وأحرقت بقية المصاحف (١٢) ولما صار المصحف مصحفا إماما موحدا سهلت قراءة القرآن للعرب الخلص غير أن الأعاجم وناشئة العرب في الأقاليم المفتوحة تعسرت عليهم القراءة من المصحف، لأن المصحف قد كتب بخط عرف بالرسم العثماني روعيت فيه القراءات، ولم يكن هذا الخط يومئذ مشكولاً ولا معجماً فصعب ضبط أواخر الألفاظ على غير العرب الفصحاء من الأعاجم والناشئة مما حدا بأبي الأسود الدؤلي – بإيعاز من زياد بن أبيه – أن يضع نقط الإعراب (الشكل أو الحركات) بمداد أحمر يخالف مداد الكتابة وكانت هذه هي البداية التطبيقية لقواعد النحو التي أخذها عن سيدنا علي (رضي الله عنه)(١٣). ثم جاء تلميذاه نصر بن عاصم ويحي بن يعمر فأعادا ترتيب الحروف الأبجدية دائريا، وفرقا بين متشابهها بوضع نقط الإعجام (١٤).

وكانت هذه العملية امتداداً لعمل أبي الأسود الدؤلي مما يسر مسألة القراءة وضبط التراكيب، غير أن كثرة النقط أدت إلى الالتباس مما جعل الخليل بن أحمد الفراهيدي يبتكر رموزاً لنقط الإعراب عرفت بالحركات(١٥)، اشتقها من حروف المد وبقيت مصطلحاتها على ما سماها به أبو الأسود، الضمة والفتحة والكسرة . هذا العمل العلمي الرائع كان باكورة علم العربية إذ كان في عهد أبي الأسود الدؤلي وتلامذته دائراً في فلك القرآن الكريم ومنصباً على ألفاظه وتراكيبه . وقد جاء هذا العمل النحوي التطبيقي نتيجة لاستقراء لغة القرآن وفحصها خاصة إذا علمنا أن أبا الأسود الدؤلي وتلامذته لم يخرجوا إلى البادية ولا شافهوا الأعراب ولا رووا شيئا من نصوص اللغة.

---

(٧) أحمد بن علي الفيومي المقريء-١٩٨٧م- المصباح المنير - ط١- مكتبة لبنان- ص٥٨، مادة(حمل).
(٨) عائشة عبد الرحمن -١٣٩١ للهجرة -١٩٧١م -مقدمة في المنهج، ط١، معهد البحوث والدراسات العربية بجامعة القرويين – المغرب- ص٧٨.
(٩) الطاهر أحمد مكي-١٩٩٣م- دراسة في مصادر الأدب- ط٧- دار المعارف القاهرة - ص١٣.
(١٠) عبد السلام هارون-١٩٩٨م، تحقيق النصوص ونشرها -ط٧- مكتبة الخانجي - القاهرة ص١٣.
(١١) جلال الدين السيوطي -١٤٢١ للهجرة- الاتقان في علوم القرآن ، تحقيق محمد متولي منصور ، ط١- مكتبة دار التراث -القاهرة ، ص١٩٢-١٩٣.
(١٢) أبو سعيد الحسن بن عبدالله السيرافي- أخبار النحويين البصريين- مرجع سابق ص٣٦.
(١٣) محمد الطنطاوي - نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة -ط٢ - دار المعارف -القاهرة_مصر ، ص٧٢.
(١٤) المرجع السابق نفسه، ص٧٨.
(١٥) محمود سليمان يأقوت-٢٠٠٢م - منهج البحث اللغوي ، ط١ ، دار المعرفة الجامعية- الإسكندرية – مصر - ص٦٧.

وكان هذا الاستقراء والفحص للغة القرآن الكريم هو المنطلق المنهجي الذي اعتمد عليه النحاة الخـــالفون، إذ وجدوا العينة الأولية قد فُحصت واستقرئت وبقي عليهم أن يكملوا بناء علم النحو بصورة علمية بفحص العينة الموسعة التي تمثلها لغة القبائل العربية للاستشهاد والتمثيل لمعرفة مدى اطراد قواعد النحو والصرف ومدى الشذوذ، ولعلهم تلقفوا فكرة الاستشهاد على قواعد النحو المستقرأة من لغة القرآن الكـــريم بشـــعر العـــرب وبنثرهم من الصحابي الجليل عبد الله بن عباس الذي عرف عنه تفسير القرآن والاستشهاد عليه بكلام العرب شعراً ونثراً.(١٦) ولما كان أبو الأسود الدؤلي وتلامذته قراءً فصحاء، ولم تكن اللغة قد وصلت حـــداً مـــن الفساد العام كما حدث فيما بعد لم يكونوا في حاجة لرواية اللغة ومشافهة الأعراب.

أما الطبقة الثانية من النحاة كعبد الله بن أبي إسحق الحضرمي وعيسى بن عمر الثقفي وأبي عمرو بن العلاء وغيرهم فقد كانوا قراءً وكانوا فصحاء ولكنهم كانوا بحاجة إلى رواية اللغة عن أهلها للاستشهاد بهـــا علـــى قواعد النحو وأحكامه؛ لأن السلائق اللغوية في زمانهم قد بان فسادها(١٧). فاحتاجوا إلـــى روايـــة اللغـــة وتعلمها ومشافهة الأعراب. فكان لا بد لهم من خطة علمية منهجية تجري عليها الرواية وكان مـــن حســـن حظهم أن أهل الحديث قد سبقوهم إلى تمهيد طريق الرواية، مذ أمر الخليفة العادل عمر بـــن عبـــد العزيـــز (رضي الله عنه) بكتابة الحديث الشريف فشرعوا في جمع حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وكان ديدنهم الدقة والتحري ومعرفة أحوال الرجال خاصة أن فتنة وضع الحديث ونحل الشعر قد نشبت مذ أواخر العصر الأموي فكانت غايتهم من هذا المنهج النقلي الصارم الاطمئنان إلى صحة ما روي عن الرســـول (صلى الله عليه وسلم) من قول أو فعل أو تقرير(١٨).

إذن استفاد علماء اللغة من نحاة البصرة، من منهج المحدّثين في الرواية والنقل والتحمل. وقد حفزهم للأخذ بهذا المنهج النقلي الصارم فتنة نحل الشعر أي وضعه ونسبته إلى شعراء الجاهليـــة، فخـــرج أولئـــك العلماء والأئمة من أهل اللغة إلى البادية يشافهون الأعراب ويجمعون اللغة من أفـــواههم ويـــدونونها فـــي دفاترهم بغرض فحص العينة الموسعة إن كانت تدعم العينة الأولية التي تجسدت فـــي لغـــة القـــرآن (١٩)، ليتكامل علم النحو ولتقوى علوم اللغة الأخرى. فالدافع لذلك كله، حفظ القرآن من اللحن وضبطه وتفســـيره واستنتاج الأحكام منه(٢٠). وعليه يمكن القول، إن نقل لغة العرب شعراً ونثراً، وتحملها رواية ومشافهة كان لخدمة جملة من الأغراض منها(٢١):

١-تفسير غريب القرآن الكريم ومجازه.
٢- تفسير بعض التراكيب القرآنية وتقريب ما فيها من حذف وإضمار والتفات وغيرها .
٣- بيان إعجاز القرآن الكريم .
٤- إيضاح معاني القرآن الكريم وتفسيرها.
٥- استقراء قواعد النحو والاستشهاد عليها.
٦- تفسير الحديث وغريبه .

---

(١٦) سعيد شنوقة- في أصول النحو العربي - مرجع سابق ، ص٧٧.
(١٧) عائشة عبد الرحمن - مقدمة في المنهج - مرجع سابق - ص٧٩-٨٠.
(١٨) حسن خميس الملخ -التفكير العلمي في النحو العربي- مرجع سابق -ص٧٣.
(١٩) ابن خلدون ، مقدمة ديوان المبتدأ والخبر المشهورة بالمقدمة،ط١ ، دار الجليل ، بيروت-لبنان ،ص٦٠٤.
(٢٠) تمام حسان -١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م- الأصول - ط١ ، عالم الكتاب- القاهرة – مصر- ص٨٣.
(٢١) عبد القادر بن عمر البغدادي -١٩٦٧م - خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب - ج١- تحقيق عبد السلام هارون- القاهرة - ص٣.

منهجية الرواية:

فإذا كانت تلك أهداف رواية لغة العرب، فإن هذه الرواية قد جرت وفق تخطيط محكم ومنهج صارم فكانت خطة الرواية نقلاً وتحملاً وفق إطار زمني محدد ومكاني معين فبيانه فيما يأتي:

أولا: الوقوف عند منتصف القرن الثاني الهجري من حيث الزمن، وعليه تؤخذ لغة الجاهليين والمخضرمين والإسلاميين، ويتحاشى الأخذ عن المولدين وهم: الذين جاءوا بعد فساد السليقة اللغوية كأبي تمام وأبي نواس والبحتري وأضرابهم ومن جاء بعدهم. فقد ارتضى النحاة الاستشهاد بشعر طبقتي الجاهليين والمخضرمين واختلفوا في الاستشهاد بلغة الإسلاميين(٢٢).والصواب الأخذ بها. ويقصد باللغة هنا نصوص اللغة من الشعر، والرجز، والنثر: كالخطب، والوصايا، والأمثال، والحكم، والأقوال السائرة.

ثانيا: أما من حيث المكان فقد حصر أئمة اللغة والنحاة الأخذ والتحمل في أماكن جغرافية معينة هي، تهامة والحجاز ونجد ومنعوا الأخذ عن قبائل اليمن لاختلاطهم بالأحباش والفرس والهنود، كما منعوه عن أهل عمان والبحرين لاختلاطهم بالهنود والفرس، ومنعوا الأخذ عن قبائل شمال شبه الجزيرة العربية لمتاخمتهم النبط والسريان، واليونان، والقبط. والملاحظ في هذا البعد المكاني الجغرافي صفاء القبيلة وبعد مضاربها عن الاختلاط بالأعاجم، وقد توفر هذا الصفاء اللغوي لعدم الاختلاط بالأعاحم، في العرب الذين أخذت عنهم اللغة وهم: قيس، وأسد، وتميم وهذيل، وبعض كنانة، وبعض الطائيين. وبالجملة فلم يؤخذ عن حضري قط لاختلاط الحضر بغيرهم من الأعاجم، ولم يؤخذ عن أهل البراري البعيدة المجاورة للعجم كلخم وجذام، ولا من قضاعة ولا من غسان ولا من إياد، ولا من تغلب ولا من النمر ولا من بكروغيرهم[٢٣].

ثالثا: الأخذ والتحمل: فيما يخص الأخذ والتلقي والتحمل، فقد وقع على مرحلتين هما:

الأولى، رحلة اللغويين إلى البادية أولا، وذلك للسماع عن العرب المحددة قبائلهم وفق الخطة المذكورة سابقاً، وكان الهدف الإقامة بينهم والسماع منهم ثم الرجوع إلى الحواضر لعرض المادة اللغوية في مواطن الدرس كالمجالس والحلق وإملائها على الطلاب، وإشاعتها في الناس. ومن النحاة البصريين الرواة الذين نزحوا للبادية (٢٤): عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي المتوفى عام ١١٧ للهجرة، ويونس بن حبيب المتوفى عام١٨٢للهجرة. ومن نحاة الكوفة: الكسائي المتوفى عام ١٨٩للهجرة، والفراء المتوفى عام ٢٠٧ للهجرة، وأبي عمرو الشيباني المتوفى عام ٢٠٦ للهجرة، وابن الأعرابي المتوفى سنة ٢٣١ للهجرة .

الثانية: رحلة معاكسة للأعراب الفصحاء من البادية إلى حواضر العلم: البصرة، والكوفة، وبغداد. وهذا هو الطور الثاني من الرواية فبعد ما كان هؤلاء الأعراب يقصدهم اللغويون في البادية لمشافهتهم وأخذ اللغة عنهم صاروا يقصدون إلى الحاضرة خاصة البصرة والكوفة ثم بغداد، يقفون على مجالس العلم وحلق الدرس يعرضون مادتهم اللغوية على العلماء والأئمة ومنهم من امتهن تعليم الصبيان، ومنهم من تكسب بالرواية لدرجة أنهم عدوا في العلماء الذين يروى عنهم ويروون عن غيرهم، وأخذ عنهم العلم بعد أن شاركوا في وضع الكتب والمصنفات(٢٥) مثل: المنتجع بن نبهان وابن دأب وغيرهما.

وقد استقى النحاة واللغويون منهجيتهم هذه من الضوابط والخصائص التي وضعها مستقرئو لغة القرآن الكريم، كأبي الأسود الدؤلي و تلامذته من رواد الطبقة الأولى البصرية، وقد ذكرت تلك الضوابط

(٢٢) جلال الدين السيوطي - ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م - الاقتران في علم أصول النحو - تحقيق محمد حسن إسماعيل الشافعي - ط١ - دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان - ص٣٣.
(٢٣) المرجع نفسه - ص٤٣-٤٧.
(٢٤) حسن خميس الملخ- التفكير العلمي في النحو العربي - مرجع سابق - ص٦٩-٧٠.
(٢٥) محمد بن سلام الجمحي - ١٤٠هـ - ١٩٨٠م -طبقات فحول الشعراء -تحقيق محمود محمد شاكر ،ط١ -السفر الأول -دار المدني - جدة – السعودية - ص٧.

والخصائص في مدخل هذه الدراسة، ولا مناص من إعادتها هنا وربطها بمنهجية الأخذ والتحمل وقد كانت كما يلي(٢٦):-

١- القرآن الكريم عربي في لغته وضعاً واستعمالاً، ولغته ليست هجيناً مولدة من لغتين فأكثر، وعلى هدى هذه الخاصية أو النتيجة استبعد النحاة واللغويون الأوائل لغات القبائل المجاورة لغير العرب شرقاً وشمالاً وجنوباً.

٢-القرآن الكريم معرب إعرابا ًمطرداً، وعلى ضوء هذه الخاصية الثانية استبعد اللغويون والنحاة الأوائل لغات القبائل العربية التي تساهلت في الإعراب وأخلت به مثل أهل الحضر عامة، فكان حظر السماع عن لغة أهل الحضر معلولا ًبفساد الإعراب.

٣- في القرآن الكريم ظواهر تركيبية غير مطردة كلغة بلحارث بن كعب (أكلوني البراغيث). وعلى هدي هذه النتيجة حرص النحاة واللغويون على البحث عن شواهد تؤيد التراكيب غير المطردة في القرآن الكريم وعزوا هذه الشواهد لقبائلها.

٤- القرآن ثابت بالنقل الصحيح عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) تلقاه وحياً عن جبريل عليه السلام. وعلى ضوء هذه الخصيصة الرابعة اهتم النحاة واللغويون بصحة الشواهد النحوية فالشاهد الموضوع ليس حجة، ولهذا كان النحاة وأئمة اللغة على قدر عال من الخبرة بالنصوص العربية الأصلية فاستطاعوا تمييزها وغربلتها عما دس فيها من الموضوع والمنتحل (٢٧).

شروط الراوي والمتحمل:

إذا كان أئمة النحاة واللغويين الأوائل قدعرفوا أغراض رواية لغة العرب فوضعوا لها منهجية رسموها وفق ما نتج عن استقراء لغة القرآن الكريم، فإنهم أيضا اشترطوا في الراوي أو ناقل اللغة والمنقول عنه شروطاً استمدوها من منهجية أهل الحديث في النقل والتحمل، ومن تلك الشروط:

أن ينتمي من تنقل عنه اللغة إلى إحدى القبائل الست وهي: قيس وتميم وأسد وهذيل وبعض طيء وبعض كنانة.

أن تكون الرواية بلغة إحدى تلك القبائل.

٣- عدم التأثر بقبائل قد رفضت لغتها مثل تغلب ولخم وجذام وغيرها بسبب اختلاطهم بالأعاجم.

٤- أن ينتمي من تنقل عنه اللغة إلى الفترة الزمنية المحددة للاحتجاج وهي من الجاهلية إلى منتصف القرن الثاني الهجري.

٥- أن يكون ناقل اللغة عدلاً رجلاً كان أم امرأة حراً كان أم عبداً وبشرط ألا يكون ممن يتدين بالكذب كالخطابية (٢٨) تلك كانت شروط الراوي والمتحمل والمنقول عنه أما شروط النقل (السماع) فهي(٢٩):

١- الفصاحة، أي أن يكون الكلام المنقول أو المسموع كلاماً عربياً فصيحاً وفق شروط المكان والزمان التي حددها أئمة النحو واللغة وسبق بيانها فيما سلف.

٢- السند، أي سلسلة الرواة من اللغويين والأعراب ولا بد من توفر الصدق والأمانة والكفاءة والتواتر الذي يخرج عن حد القلة إلى حد الكثرة.

---

(٢٦) جلال الدين السيوطي- الاقتراح في علم أصول النحو - مرجع سابق، ص٣٦، وانظر أيضاً حسن خميس الملخ- التفكير العلمي في النحو العربي - مرجع سابق، ص٧٠.

(٢٧) سعيد شنوقة - في أصول النحو العربي- مرجع سابق ، ص٤٧.

(٢٨) جلال الدين السيوطي- الاقتراح في علم أصول النحو -مرجع سابق- ص٣٣-٣٤.

(٢٩) المرجع نفسه - ص٣٤.

٣- التواتر، وهو أن يقع نقل اللغة من جماعة من النقلة أو الرواة أو السامعين يبلغ عددهم حداً يمنع جواز اتفاق مثلهم على الكذب . وقد تحقق هذا التواتر في نقل القرآن الكريم كله، وفي بعض السنة(٣٠)، وبعض كلام العرب كالشعر والنثر. وبناءً على الشرط الثالث فقد قسم اللغويون اللغة المنقولة إلى:

(أ) متواتر: وهو ما نقله جمع من الرواة والأعراب والنقلة لا يجوز على مثلهم الكذب أو التواطؤ على الكذب، أو أجمع على نقله والاعتداد به نحاة المصرين: البصرة والكوفة، لأنهم هم الذين عنوا بنقل اللغة ودراستها وصيروا هذا الأمر صناعة لهم كما قال الإمام السيوطي (٣١) . ويدخل في المتواتر مما نقل من لغة العرب ما رواه الثقات عنهم بالأسانيد المعتبرة من نثرهم ونظمهم، وقد دونت دواوين كثيرة عن العرب العرباء مشهورة، كديوان إمرئ القيس، والطرماح، وزهير بن أبي سلمى، وجرير، والفرزدق وغيرهم. ومن أمثلة المتواتر أيضاً مثل ألفاظ: الماء، والهواء، والنار، وغيرها، وكذلك رفع الفاعل، ونصب المفعول، وجر المضاف إليه (٣٢).

(ب) آحاد وهو: ما تفرد بنقله بعض أهل اللغة ولم يوجد فيه شرط التواتر، ومع ذلك فهو دليل مأخوذ به، والأكثرون من الأصوليين واللغويين والنحاة على أنه يفيد الظن. وناقل الآحاد من اللغة يكون عدلاً رجلاً كان أو امرأة، حراً كان، أو عبداً، كما يشترط في نقل الحديث لأن باللغة معرفة تفسيره وتأويله فاشترط في نقلها ما اشترط في نقله .(٣٣).

طرق نقل اللغة وتحملها:

طرق نقل اللغة وتحملها مستمدة من منهج أهل الحديث في النقل والتحمل؛ لأن أهل الحديث كانوا أسبق من أهل اللغة في تأصيل هذا المنهج وضبطه (٣٤) حفاظاً على ألسنة وحماية لها من وضع الواضعين والتدليس، وتوخياً للدقة والأمانة، نقول استمد اللغويون طرق الإجازات أو نقل اللغة وتحملها من أهل الحديث. تلك الطرق هي:

السماع :

ويكون من لفظ الشيخ أو من العربي الذي يحتج بلغته من العرباء الفصحاء. قال ابن فارس: (تؤخذ اللغة اعتياداً كالصبي العربي يسمع أبويه وغيرهما ...وتؤخذ تلقناً من ملقن، وتؤخذ سماعاً من الرواة الثقات)(٣٥) للمتحمل بهذه الطريقة صيغ عند الأداء والرواية: أعلاها أن يقول أملى عليّ أو أملي على فلان، ويلي ذلك سمعت ! قال ثعلب في آماليه: حدثنا مسلمة: سمعت الفراء يحكي عن الكسائي أنه سمع اسقني ماء يا هذا. يريد شربة ماء(٣٦).

ويلي ذلك أن يقول: حدثني، وحدثنا فلان ويستحسن حدثني إذا حدث وهو وحده، وحدثنا إذا حدث وهو مع غيره. ويلي ذلك أن يقول: عن فلان. قال ثعلب في أماليه قال الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء قال قائل: أمة بني فلان سألتها عن المطر فقال: غثنا ماشئنا أي اسقنا الغيث .ويقال في الشعر أنشدنا وأنشدني، وقد يستعمل في الشعر حدثنا و سمعت ونحوه (٣٧).

القراءة على الشيخ :

---

(٣٠) المرجع نفسه - ص٣٤.

(٣١) المرجع نفسه - ص٥٤.

(٣٢)ابن الصلاح - المقدمة ابن الصلاح - تحقيق عائشة بنت الشاطيء ط١ - دار المعارف- ص٤١٩ – ٤٢٧ ، و ص٤٢٨ -٤٣٦.

(٣٣) ابن فارس-١٩٩٣م - الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها- تحقيق عمر فاروق الطباع - مكتبة دار المعارف- ط١- ص٧٤ .

(٣٤) سعيد شنوقة- في أصول النحو العربي- مرجع سابق- ص٨١ .

(٣٥) جلال الدين السيوطي - المزهر في علوم اللغة وأنوعها - شرح وضبط محمد أحمد جاد المولى - وعلى البجاوي - ومحمد أبو الفضل إبراهيم- ط١ - ج١- دار الجيل- بيروت -ص١٣٧ – ١٤٤ .

(٣٦) عائشة عبد الرحمن- مقدمة في المنهج -مرجع سابق- ص٨٧ .

(٣٧) سعيد شنوقة - في أصول النحو العربي- مرجع سابق-ص٨٢ .

وأكثر المحدثين يسمونها عرضاً؛ لأن القاريء يعرض على شيخه ما يقرأه(٣٨) وعن أهل الحديث أخذ اللغويون هذه الطريقة وغيرها من طرق النقل والتحمل .فإذا كان راوي الخبر أو الشعر أو النثر هو الذي قرأ أدى بلفظ : (قرأت على الشيخ)، وأما إذا كان غيره القاريء يجب أن يؤدى بلفظ: (قُرِئَ على الشيخ وأنا أسمع) ومثال ذلك قول أبي على القالي: قرأت على أبي بكر بن الأنباري في كتابه وقرىء عليه في (المعاني الكبير) ليعقوب بن السكيت وأنا اسمع فذكر أبياتاً وقال أنشدني أبو بكر الأنباري قال: قرىء على علي بن العباس أحمد بن عيسى لأبي حية النميري وأنا أسمع:

وخبرك الواشون أن لن أحبك ** بلى وستور اليد ذات المحارم[٣٩]

...إلى أخر الأبيات.

الإجازة:

ويقصد بها قول الشيخ أو اللغوي أو الأعرابي: أجزت لك كذا فاروه عني أو أجزت لك كتاب كذا فاروه عني(٤٠). والإجازة على درجات أعلاها: أن تكون إجازة في معين لمعين مثل أن يقول أجزت لك كتاب كذا فاروه عني، وتليها الإجازة لمعين في غير معين مثل أن يقول: أجزت لك أو لكم جميع مروياتي. وتليها لغير معين بوصف العموم مثل أن يقول أجزت لأهل بلدي أولمن أدرك زماني(٤١).

المناولة :

وهي في اللغة الإعطاء والدفع ويعنى بها في الاصطلاح: أن يدفع الشيخ أصل سماعه أو فرعه إلى الطالب مقابلاً به، وهي طريقة معروفة عند المحدثين أخذ بها اللغويون في التحمل والأخذ والتلقي. والمناولة على نوعين أحدهما: المناولة المقرونة بإجازة وهي أن يدفع الشيخ إلى الطالب أصل سماعه أو فرعه مقابلاً به، ويقول هذا سماعي أو روايتي عن فلان فاروه عني، أو أجزت لك روايته عني. وتعد هذه المناولة أعلى أنواع المناولة وفي المناولة طريقة أخرى تسمى عرض المناولة، وتكون بعدما يقف الشيخ على ما يناوله إياه الطالب ويتأكد منه ثم يدفعه إليه ويقول له: وقفت على ما فيه وهو حديثي عن فلان فاروه عني. والنوع الثاني من المناولة ألا تقترن بإجازة، وتكون بمناولة الشيخ كتابه إلى الطالب ويقتصر على قوله: من حديثي أو سماعي عن فلان، ثم لا يقول له أجزت لك روايته عني. وهذه مناولة لا تجوز الرواية بها وعابها غير واحد من الفقهاء والأصوليين على الذين أجازوها من المحدثين وسوغوا الرواية بها. وتكون طرق الأداء بالمناولة عموماً كما يلي: – حدثنا فلان مناولة وإجازه أو ناولني وأذن لي في روايته (٤٢) وذلك حتى لا يقع في التدليس.

المكاتبة:

وهي في اللغة مصدر للفعل الثلاثي المزيد كاتب ولا يقع هذا الفعل الدال على المفاعلة إلا من اثنين فأكثر والمقصود بها في النقل والتحمل أن يكتب الشيخ للطالب شيئاً من حديثه، أو يأمر غيره أن يكتب له ذلك وعند اللغويين والنحاة: أن يكتب الشيخ شيئاً من سماعه للطالب أو أن يأمر غيره بكتابته إليه.

وتلى المكاتبة المناولة في درجتها، وقد تقرب منها مقرونة بالإجازة، أما إذا كانت مجردة من الإجازة فمنهم أجاز الرواية بها على تقدير ما فيها من إشعار بمعنى الإجازة وإن لم تقرن بها لفظاً ورفضها أخرون ومنعوا الأخذ بها مالم تقرن بالإجازة . وفي كل حالة اشترطوا أن يعرف المكتوب إليه خط الكاتب. والمختار في

---

(٣٨) عائشة عبد الرحمن - مقدمة في المنهج- مرجع سابق- ص٨٧ -٨٨ .
(٣٩) عائشة عبد الرحمن - مقدمة في المنهج- مرجع سابق -ص٨٧ -٨٨.
(٤٠) المرجع نفسه -ص٨٨.
(٤١) جلال الدين السيوطي -الاقتران في علم أصول النحو- مرجع سابق- ص١٤٤ – ١٧١.
(٤٢) عائشة عبد الرحمن - مقدمة في المنهج- مرجع سابق - ص٩١.

طرق الأداء بها أن يقول: كتب فلان إليَّ قال حدثنا فلان بكذا، هذا هو الصحيح اللائق بمذهب أهل التحري والنزاهة(٤٣) .

الوجادة :

وهي مصدر للفعل (وجد) مولد غير مسموع عن العرب(٤٤) للدلالة على المعنى الاصطلاحي وهو: ما يؤخذ من العلم لغة أو حديثا أو غيرهما من صحيفة من غير سماع ولا إجازة ولا مناولة، ولا وصية، ومثالها، أن يقف الشخص على كتاب راوٍ بخطه ولم يلقه ولم يسمع منه ذلك الذي وجده، ولا كانت منه إجازة أو نحوها. وله أن يقول وجدت بخط فلان؛ أو قرأت بخطه، أو في كتابه بخطه: أخبرنا فلان عن فلان(٤٥). وهذه الطريقة هي الغالبة في توثيق المخطوطات للنصوص المنقولة.

أقسام المادة اللغوية المنقولة:

لقد جرى البيان في المباحث السابقة أن النحاة وأئمة اللغة عنوا بجمع اللغة شعراُ ونثراً ممن يحتج بعربيتهم من أهل الحواض والأعراب، وقد كانت هذه العناية منصبة على جمع اللغة الفصحى التي تحمل خصائص لغة القرآن الكريم . وكان ذاك الجمع للغة مشافهة للأعراب وسماعاً منهم قد نفذه النحاة واللغويون الرواة، أو كان وروداً للأعراب إلى حواضر العلم في البصرة والكوفة ثم بغداد، فإن هذا الجمع رواية وسماعاً ومشافهة قد جرى تدوينه ، ثم عكف عليه النحاة وأئمة اللغة فصنفوا المادة اللغوية تصنيفاً علمياً وفق حصائص لغة القرآن التي استقرأها أبو الأسود الدؤلي وتلامذته . وقد أدى هذا التصنيف إلى تقسيم المادة اللغوية المسموعة والمروية إلى أربعة أقسام من حيث الخصائص وفق المعايير التالي:-

الاطراد: وهو في اللغة التتابع والاستمرار، وفي الاصطلاح ما استمر من الكلام في أصواته وأبنيته وتراكيبه على سمته وطريقته من مواضع الصناعة(٤٦) أي ما وافق خصائص لغة القرآن صوتاً وصرفاً ونحواً كاطراد مخارج الأصوات واطراد أبنية الألفاظ واطراد رفع الفاعل ونصب المفعول، وجرّ المضاف إليه وغيرها.

الشذوذ : وهو في اللغة التفرق والتفرد. وفي الاصطلاح هو الكلام العربي المسموع ممن يحتج بعربيته ولكنه فارق ماعليه بقية بابه وانفرد إلى غيره(٤٧) أي هو الكلام العربي الفصيح الذي خالف الصناعة صوتاً أو صرفاً أو نحواً من حيث القواعد والخصائص.

الاستعمال: وهو في اللغة إعمال الشيء فيما أعد له(٤٨) وفي الاصطلاح استخدام متكلمي اللغة الألفاظ والتراكيب بكثرة وبذا يكون المستعمل غير المهجور أو المتروك أو المهمل والمستعمل في اللغة من ألفاظها وتراكيبها يقابله المهمل.

وبناءً على المعايير السابقة قسم النحاة وأئمة اللغة المادة اللغوية المسموعة المنقولة أربعة أقسام هي:-

١- قسم مطرد في القياس والاستعمال معاً وهو غاية ما يطلبه النحاة واللغويون لتحقق القواعد والخصائص فيه ولجريانه على ألسنة من يحتج بعربيتهم ومثاله: قام زيد، ضرب زيد عمراً، ومررت بسعيدٍ (٤٩).

٢- قسمٌ مطرد في القياس شاذ في الاستعمال(٥٠) أي أن القواعد النحوية والخصائص الصوتية والبنائية متحققة فيه بحيث يمكن طرد تلك القواعد، غير أنه قليل أو نادر في استعمال من يعتد بعربيتهم أي أن جريانه

(٤٣) ابن جني- ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م - الخصائص- تحقيق محمد على النجار - ط١ - ج١ - المكتبة العلمية - القاهرة – مصر- ص٩٦.
(٤٤) المرجع نفسه- ص٩٦.
(٤٥) أحمد بن علي الفيومي المقريء- المصباح المنير- مادة (عمل) - مكتبة لبنان - مرجع سابق - ص١٦٣.
(٤٦) المرجع نفسه - ص١٦٣.
(٤٧) ابن جني- الخصائص - مرجع سابق- ص٩٧ .
(٤٨) ابن جني - الخصائص - مرجع سابق -ص ٩٨.
(٤٩) ابن جني – الخصائص- مرجع سابق - ص ٩٨ .
(٥٠) المرجع نفسه -ج١ - ص٩٨.

على الألسنة قليل؛ لأنهم لا يقيسون إلا على ماكثر استعماله، ومثاله كالماضي من (يذر)، او (يدع) إذ لم يرد عن العرب كثيراً استعمال الماضي (وذر) و(ودع) وإن كان القياس يسمح بذلك ، ومثاله (مكان مبقل)(٥١) والأكثر في السماع والاستعمال (باقل) ومثاله أيضاً في التراكيب مجيء خبر(عسى) اسماً صريحاً نحو: عسى زيد قائماً غير أن السماع والاستعمال ورد بحظره والاقتصار على ترك استعمال الاسم مثلما في: عسى زيد أن يقوم .

٣- قسم شاذ في القياس مطرد في الاستعمال: والمقصود به ماخالف القواعد اللغوية نحواً وصرفاً ولم يجر عليها غير أن الاستعمال جرى به أي أن ألسنة من يعتد بعربيته جرت به وكثر استعماله نحو قولهم: أخوص الرمث، واستصوبت الأمر، ومنه استحوذ، وأغيلت المرأة، واستنوق الجمل(٥٢).ولا يقال في تلك الأفعال قياساً: أخاص، واستصاب، واستحاذ، وأغالت، واستناق لأن استعمال العرب لم يردبه.

٤- قسم شاذ في القياس والاستعمال معاً: ومثاله تتميم اسم المفعول فيما عينه واو نحو (ثوب مصوون، ومسك مرووف، وفرس مقوود، ورجل معوود) (٥٣)، أي أن هذا القسم شاذ في القياس على قواعد العربية وخصائصها، وشاذ كذلك في استعمال من يعتد بعربيتهم إذ لم يجر على ألسنتهم إلا نادراً وقليلاً وهذا يحفظ ولايقاس عليه ولا يصح استعماله فيما استعملوه فيه إلا على وجه الحكاية(٥٤).

وبناء على ماورد من تقسيمهم المادة اللغوية المسموعة أربعة أقسام وفق معايير الاطراد، والشذوذ، والاستعمال استقرأوا قواعد النحو وقاسوا عليها. وقد استخرجت تلك القواعد مما اطرد في الاستعمال والقياس معاً وهو ما وافق خصائص لغة القرآن وجرى به استعمال من يعتد بعربيتهم، أما ماكان مطرداً في القياس شاذاً في الاستعمال فقد تحاموا القياس عليه واتبعوا فيه ماورد به استعمال العرب ثم أوردوا له الشواهد من كلام العرب.

وكذلك ماورد عن العرب مطرداً في الاستعمال شاذاً في القياس فهو عندهم يحفظ ولا يقاس عليه. وما ورد شاذاً في القياس والاستعمال معاً فهذا لا يقاس عليه ولا يستعمل فيما استعمله العرب إلا على سبيل الحكاية.

اختبار المادة اللغوية المنقولة :

لما اطمأن النحاة واللغويون إلى استقرائهم المادة اللغوية أي العينة الموسعة التي نقلت عمن يعتد بعربيتهم، ونظروا إليها في ضوء خصائص لغة القرآن الكريم أي العينة الأولية طفقوا يختبرون صحة استقرائهم وصحة نتائجه عن طرق مختلفة تقيس مدى الانسجام بين عينة الاستقراء الموسعة وسائر كلام العرب الفصيح المتمثل في الشعر والنثر، وقد اتضحت **مظاهر الاختبار والتحقق فيما يلي:**

الشروح اللغوية للنصوص الأدبية :

المطلع على شروح النصوص الأدبية الخاصة بالجاهلية وصدر الإسلام يلحظ بسرعة سيطرة الاتجاه اللغوي في الشرح وقد نتجت هذه الظاهرة عن حدب النحاة واللغويين على نصوص الأدب العربي، خاصة تلك التي ترجع إلى عصر الاحتجاج ومنها تستمد الشواهد. فاللغويون والنحاة لهم اليد الطولى في شرح أشعار العرب وخطبها وأمثالها(٥٥)، وهو شرح لغوي يراعي فيه الشارح بيان غريب الألفاظ وإعراب الكلمات الملبسة، والوقوف على المعنى العام للبيت. ومن هؤلاء اللغويين الشراح: الأصمعي جامع الأصمعيات، والفراء، وابن السكيت، وثعلب، والمبرد صاحب الكامل في اللغة والأب، وأبي بكر بن الأنباري شارح المعلقات السبع،

---

(٥١) المرجع نفسه-ج١ - ص٩٩.
(٥٢) المرجع نفسه - ج١ - ص٩٩.
(٥٣) نهاد الموسى وآخرون -٢٠١٠م- منهج قراءة النص العربي- ط١- الشركة العربية المتحدة لتسويق والتوريد - القاهرة مصر -ص ١٥٥-١٥٨ .
(٥٤) حسن خميس الملخ- التفكير العلمي في النحو العربي-مرجع سابق -ص٩١.
(٥٥) أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي -١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م - مجالس العلماء - تحقيق عبد السلام هارون- ط٣- مكتبة الخانجي - القاهرة – مصر - - ص٣-٥.

وابن جني (٥٦) وقد قصد اللغويون من هذه الشروح للنصوص الأدبية، التحقق من سلامة المادة اللغوية لأن سلامتها معيار لسلامة قوانينهم في اللغة والتصريف والنحو.

مجالس العلماء:

كانت مجالس علماء العربية في قصور الخلفاء والأمراء وغيرها، مؤتمرات علمية رفيعة المستوى يختبر فيها العلماء – نحاة ولغويون وإخباريون وغيرهم – معارفهم المختلفة ، ومن ذلك أن عيسى بن عمر الثقفي جاء إلى أبي عمرو بن العلاء وعنده أبو محمد اليزيدي، فقال عيسى: ما شيء بلغني أنك تجيزه؟ فقال: وما هو؟ قال: بلغني أنك تجيز (ليس الطيبُ إلا المسكُ) بالرفع. فقال له نمتَ يا أبا عمرو وأدلج الناس، ليس في الأرض حجازي إلا وهو ينصب ولا في الأرض تميمي إلا وهو يرفع. ثم اختبر اليزيدي كلام أبي عمرو وأرسل من يستوثق فكان الأمر موافقا لقول أبي عمرو لأن الأعرابي الحجازي أبى الرفع، والأعرابي التميمي أبى النصب. فقال عيسى بن عمر لأبي عمرو: بهذا والله فُقتَ الناس(٥٧). ومن المجالس المشهورة المجلس الذي تناظر فيه سيبويه والكسائي في المسألة الزنبورية المعروفة عند دارسي النحووالواقفين على مسائل الخلاف(٥٨). ولمتطلب المزيد، الرجوع إلى كتب المجالس والموسوعات الأدبية ،فإنها حافلة بالمناظرات التي جرت بين نحاة العربية وعلمائها، وقد كانت تلك المناظرات من أهم الوسائل العلمية في بيان المسائل اللغوية والنحوية والفقهية، وبيان أدلة المذاهب المختلفة مما يعد طريقة علمية منهجية في اختيار المادة المستقرأة والتحقق من صحة الاستقراء.

كتب الرد:

كتب الرد المتبادل بين النحاة واللغويين في المسائل اللغوية والنحوية وما تعلق بهما من طريقة الرواية وقبول المادة المسموعة أو رفضها، وكالتحقق من صحة رواية أو استقراء قاعدة أو تفسير معنى أو تصحيح شاهد أو ما شابه ذلك. وهي بذلك تمثل ظاهرة صحية تحافظ في الغالب على نقاء العلم من أخطاء الملاحظة والاستقراء أو التحليل ليبقى العلم قويا متماسكا. ومن أشهر الذين ردوا على اللغويين والنحاة، ابن درستويه عبد الله بن جعفر المتوفى عام ٣٤٧ للهجرة، الموافق ٩٥٨ للميلاد، وله من كتب الرد:(٥٩).

* الرد على المفضل في الرد على الخليل في كتاب العين.
* الرد على ثعلب في اختلاف النحويين.
* الرد على ابن خالويه في(الكل والبعض).
* الرد على الفراء في(المعاني).
* النصرة لسيبويه على جماعة النحويين.
* الانتصار لكتاب العين، وأنه للخليل.

ولم يرم ابن درستويه اللغويين والنحاة عن جهل، لأنه كان نحويا جليل القدر، مشهور بالذكر، جيد التصانيف ولكنه كان شديد الانتصار لمذهب البصريين في اللغة والنحو.(٦٠). وقد رد ابن ولاد الأندلسي المتوفى عام ٣٣٢ للهجرة على المبرد في كتابه (الانتصار لسيبويه على المبرد). وتبرز أهمية الرد في نخل آراء المبرد في تغليط سيبويه، لأن ابن ولاد دقق في أدلة المبرد فوجدها مفتقرة إلى السماع الصحيح، أو النقل الدقيق عن العرب عن سيبويه (٦١).

---

(٥٦) المرجع السابق- ص٣-٥.
(٥٧) القفطي -١٩٨٦م- إنباه الرواة بأنباه النحاة - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - ط١- دار الفكر العربي ومؤسسة الكتب الثقافية - بيروت - ج٢ - ص١١٣-١١٤ .
(٥٨) المرجع نفسه -ج١ - ص١١٣ .
(٥٩) انظر الانتصار لسيبويه - ١٩٨٨م -تحقيق زهير عبد المحسن سلطان - ط٢-موسسة الرسالة - بيروت – لبنان - ص٤٧-٤٨-٥٢-٥٤-١١٦-١٥١ .
(٦٠) الزجاجي - مجالس العلماء -مرجع سابق - ص٢ .
(٦١) ابن جني - الخصائص - مرجع سابق -ج ٢- ص٨٧.

اختبار الأعراب:

لم يكن جمهور اللغويين والنحويين يأخذون عن الأعراب إلا إذا وثقوا بسلامة لغتهم، وفصاحتهم، وكانوا يصلون إلى الثقة بطرق مختلفة مثل: معرفة مكان السكن، أو المخالطة أو الاختبار. ومن أمثلة ذلك، سؤال أبي عمرو بن العلاء الأعرابي أبا خيرة عن قول العرب : (استأصل الله عرقاتهم) فنصب أبو خيرة التاء من (عرقاتهم) ، فقال أبو عمرو: هيهات أبا خيرة، لان جلدك. لأن أبا عمرو استضعف النصب بعدما كان سمعها منه بالكسر(٦٢). ويسأل ابن جني أبا عبد الله الشجري ومعه ابن عم له دونه في الفصاحة ، فقال لهما كيف تحقران (حمراء) ؟ فقالا : (حميراء) . فقال فسوداء، فقالا، سويداء، ووالى من ذلك أحرفاً وهما يجيئان بالصواب ثم دس في ذلك (عِلباء) فقال ابن عم الشجري: (عليباء) وتبعها الشجري فلما هم بفتح الباء تراجع كالمذعور، ثم قال: آه ! عُليبى، ورام الضمة في الياء (٦٣). ثم توقف النحاة عن سماع الأعراب والأخذ منهم بعد أن علق الانحراف اللغوي في ألسنتهم وكان هذا بعد القرن الرابع الهجري.

الخاتمة:

تجسد الشروح اللغوية للنصوص الأدبية الموثوقة، ومجالس العلماء، وكتب الرد، واختبار الأعراب، وسائل اختبار المادة اللغوية المنقولة للتحقق من سلامتها وفصاحتها وعليه سلامة قواعد النحو والصرف وقوانين اللغة المستقرأة من فحص العينة الموسعة من كلام العرب الفصحاء. وفي نهاية هذا المبحث يجدر بالباحث أن يشير إلى أن هذه الدراسة التي تناولت منهجية نقل المادة اللغوية عن العرب العرباء، وطرق تحملها كما بينت المنطلقات المنهجية التي تأسس عليها هذا المنهج. وقد كانت تلك المنطلقات مأخوذة عن خصائص لغة لقرآن الكريم التي استقرأها أبو الأسود الدؤلي وتلامذته كما أنها قد سارت على منهج النقل والتحمل الذي اختطه علماء السنة وعلماء أصول الفقه ولا غرو في ذلك؛ لأن النحو واللغة قد نشأ كل منهما في كنف القرآن الكريم والسنة المطهرة وفي رحابهما.

وقد تبادلت علوم القرآن الكريم، وعلوم الحديث الشريف، والفقه، والنحو، وعلوم اللغة التأثير والتأثر، لأنها جميعا كانت في خدمة القرآن الكريم والسنة المطهرة، وخدمة الإسلام عموما. ولأن الذين اخترعوا تلك العلوم وأصّلوا لها، عاشوا في ظل القرآن والسنة قولاً وعملاً، وكان القرآن الكريم والسنة المطهرة قد بنت عقولهم ووجهت تفكيرهم، ولهذا كان منهج النقل والتحمل واحداً في نقل القراءات والحديث الشريف ومغازي الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وتاريخ الخلفاء والفتوحات، والأدب واللغة. فلم يكن أهل اللغة نشازاً داخل هذه المنظومة المتجانسة وقد توصلت هذه في ختام مباحثها، إلى النتائج الآتية:

١- كانت لغة القرآن هي العينة الأولية التي فحصها أبو الأسود الدؤلي وتلامذته واستخرجوا خصائصها، لتكون منطلقاً منهجياً تأسيسياً لجمع لغة العرب العرباء الفصحاء التي صارت عينة موسعة، من جراء فحصها واستقرائها عممت قواعد النحو والصرف.

٢- اتبع النحاة وأئمة اللغة في نقل لغة العرب وتحملها خطة منهجية تأسست على خصائص لغة القرآن وأخذت عن منهج النقل والتحمل الذي اختطه علماء الحديث وأصول الفقه.

٣- ما وصل إلينا من لغة العرب العرباء الذين يعتد بعربيتهم مجسدة في الشعر والنثر قد تحمل النحاة وأئمة اللغة أمانة نقلها وغربلتها وتصويب روايتها وشرح غريبها وعزوها لقائلها من القبائل والأفراد، ولهذا كانت

(٦٢) الزجاجي-مجالس العلماء-ص٩٢.
(٦٣) ابن جني - الخصائص - ج٢، ص ٨٨.

كتب المجاميع والاختيارات مثل الأصمعيات، والمفضليات، وجمهرة أشعار العرب، من صنيعهم إضافة لشروح دواوين الشعر وتوثيقها .

٤- جسدت كتب الأمالي مثل: أمالي القالي وأمالي الشجري وأمالي الزجاجي وغيرهم إضافة لكتب الأدب العامة مثل: الأغاني والعقد الفريد والكامل في اللغة والأدب – المنهج النقلي الذي يعنى بطرق النقل والتحمل مثل إجازات السماع من قولهم: أملي علينا، وحدثنا، وسمعت ، ووجدت مكتوبا بخط فلان، و نحو كتب إليّ فلان ...إلخ.

٥- عني النحاة بالتحقق والاختبار للمادة اللغوية المنقولة التي استقرأوها واستخرجوا منها قواعد النحو والصرف للوصول إلى مدى علمية هذه المادة وموضوعيتها في صدق إطراد خواصها وما استخرج منها من قواعد، وكانت وسائلهم لهذا التحقق تتمثل في:

* الشروح اللغوية للنصوص الأدبية .

*مجالس العلماء وما يجري فيها من مناظرات وحوار.

* كتب الرد لبيان الصواب من الخطأ بدحض الأدلة والحجج ،أو تقويتها.

* اختبار الأعراب الذين نقلت عنهم اللغة وفق الخصائص والمعايير المحددة في خصائص لغة القرآن الكريم.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

١. سعيد شنوقة، في أصول النحو العربي ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة – مصر،ط١ ، ٢٠٠٨م.
٢. أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي ،أخبار النحويين البصريين ، تحقيق محمد إبراهيم البنا، دار الاعتصام، االقاهرة – مصر، ط١، ١٤٠٥ للهجرة- ١٩٨٥م.
٣. حسن خميس الملخ، التفكير العلمي في النحو العربي ، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان – الأردن ، ط١ ن ٢٠٠٢م.
٤. معجم مقاييس اللغة ، تحقيق شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر ، بيروت – لبنان ، ط١ ١٤١٤ للهجرة – ١٩٩٣م.
٥. أحمد بن علي الفيومي المقرئ ، المصباح المنير، مكتبة لبنان ، بيروت ، ط١، ١٩٨٦م.
٦. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، مقدمة في المنهج ، معهد البحوث والدراسات العربية بجامعة القرويين، المغرب، ط١ ، ١٣٩١ للهجرة – ١٩٧١م.
٧. الطاهر أحمد مكي ، دراسة في مصادر الأدب ، دار المعارف ، القاهرة – مصر ، ط٧ ، ١٩٩٣م..
٨. عبد السلام هارون، تحقيق النصوص ونشرها، مكتبة الخانجي ، القاهرة – مصر، ط٧ ، ١٩٩٨م.
٩. جلال الدين السيوطي- الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد متولي منصور ، مكتبة دارالتراث، القاهرة – مصر ،ط١، ١٤٢١اللجرة – ١٩٩٣م .
١٠.محمد الطنطاوي ، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ، دار المعارف ، القاهرة – مصر، ط٢.
١١.محمود سليمان ياقوت ، منهج البحث اللغوي ، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية – مصر– ط١- ٢٠٠٢م.
١٢.ابن خلدون ، مقدمة ديوان المبتدأ والخبر المشهورة بالمقدمة، دار الجيل ، بيروت – لبنان ط١.
١٣.تمام حسان، الأصول ، عالم الكتاب ، القاهرة – مصر ، ط١ ، ١٤٢٥اللهجرة –٢٠٠٤م .

١٤. عبد القادر بن عمر البغدادي ، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، تحقيق عبد السلام هرون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة – مصر ، ط٢، ١٩٧٩م.
١٥. جلال الدين السيوطي– الاقتران في علم أصول النحو ، تحقيق محمد حسن إسماعيل الشافعي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان، ط١ ، ١٤١٨ للهجرة –١٩٩٨م
١٦. محمد بن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، تحقيق محمود محمد شاكر ، دار المدني ، جدة ، السعودية ، ط١ ، ١٤٠٠للهجرة – ١٩٨٠م .
١٧. ابن الصلاح ، مقدمة ابن الصلاح ، تحقيق عائشة بنت الشاطئ، دار المعارف ، القاهرة – مصر ، ط١، دت.
١٨. ابن فارس أبو الحسين أحمد بن زكريا– الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامهم ، تحقيق عمر فاروق الطباع ، مكتبة دار المعارف ، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٤للهجرة ١٩٩٣م.
١٩. السيوطي– المزهر في علوم اللغة وأنواعها، الشرح والضبط ، محمد جاد المولى، وعلي البجاوي، ومحمد علي إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت – لبنان ، ط١، ١٤١٤للهجرة، – ١٩٩٢م.
٢٠. ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار،المكتبة العلمية،القاهرة مصر،١٣٧١ للهجرة ١٩٥٢م.
٢١. نهاد الموسى وآخرون ،منهج قراءة النص العربي، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريد، القاهرة –مصر ، ط١ ،٢٠١٠م.
٢٢. أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحق الزجاجي، مجالس العلماء، تحقيق عبد السلام هرون ، مكتبة الخانجي، القاهرة – مصر ، ط٣ ،١٤٢٠للهجرة – ١٩٩٩م .
٢٣. القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت – لبنان ، ط١، ١٩٨٦م .
٢٤. سبويه – الإنتصار – تحقيق زهير عبد المحسن سلطان–مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط/٢ ١٩٨٨م.